

* تفسير روح المعاني / الالوسي (ت 1270 هـ) مصنف و لم يتم تدقيقه بعد

{ لإِيْلَافِ قُرَيْشٍ } (1)

{ لإِيْلَافِ قُرَيْشٍ } الإيلاف على ما قال الخفاجي مصدر ألفت الشيء وآلفته من الألف وهو كما قال الراغب اجتماع مع التثام وقال الهروي في الغريين الإيلاف عهد بينهم وبين الملوك فكان هاشم يؤلف ملك الشام والمطلب كسرى وعبد شمس ونوفل يؤالفان ملك مصر والحبشة قال ومعنى يؤلف يعاهد ويصالح وفعله آلف على وزن فاعل ومصدره آلاف بغير ياء بزنة قبال أو ألف الثلاثي ككتب كتاباً ويكون الفعل منه أيضاً على وزن أفعل مثل آمن ومصدره إيلاف كيأمان وحمل الإيلاف على العهد خلاف ما عليه الجمهور كما لا يخفى على المتتبع وفي «البحر» إيلاف مصدر آلف رباعياً وآلاف مصدر ألف ثلاثياً يقال ألف الرجل الأمر ألفاً وآلافاً وآلف غيره إياه وقد يأتي آلف متعدياً لواحد كآلف ومنه قوله:

من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في جيدها يتوضح

وسياتي إن شاء الله تعالى ما في ذلك من القراءات وقريش ولد النضر بن كنانة وهو أصح الأقوال وأثبتها عند القرطبي قيل وعليه الفقهاء لظاهر ما روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من قريش فقال من ولد النضر وقيل ولد فهر بن مالك بن النضر وحكي ذلك عن الأكثرين بل قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على أن قريشاً إنما تفرقت عن فهر واسمه عند غير واحد قريش وفهر لقبه ويكنى بأبي غالب وقيل ولد مخلد بن النضر وهو ضعيف وفي بعض السير أنه لا عقب للنضر بن كنانة إلا مالك وأضعف من ذلك بل هو قول رافضي يريد بن نفي حقية خلافة الشيخين أنهم ولد قصي بن حكيم وقيل عروة المشهور بلقبه كلاب لكثرة صيده أو لمكالبته أي

مواثبه في الحرب للأعداء نعم قصي جمع قريشاً في الحرم حتى اتخذوه مسكناً بعد أن كانوا متفرقين في غيره وهذا الذي عناه الشاعر بقوله:

أبونا قصي كان يدعي **به جمع الله القبائل من**
مجمعا **فهر**

فلا يدل على ما زعمه أصلاً وهو في الأصل تصغير قرش بفتح القاف اسم لدابة في «البحر» أقوى دوابه تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلق وبذلك أجاب ابن عباس معاوية لما سأله لم سميت قريش قريشاً وتلك الدابة تسمى قرشاً كما هو المذكور في كلام الخبر وتسمى قريشاً وعليه قول تبع كما حكاه عنه أبو الوليد الأزقي وأنشده أيضاً الخبر لمعاوية إلا أنه نسبه للجمحي:

وقريش هي التي تسكن البحر **ر بها سميت قريش قريشا**
تأكل الغث والسمين ولا تت **رك يوماً لذي جناحين ريشاً**
هكذا في البلاد حي قريش **يأكلون البلاد أكلاً كميشا**
ولهم آخر الزمان نبي **يكثر القتل فيهم والخموشا**

وقال الفراء هو من التقرش بمعنى التكسب سموا بذلك لتجارتهم وقيل من التقرش وهو التفتيش ومنه قول الحرث بن حلزة:

أيها الشامت المقرش عنا **عند عمرو فهل لنا إبقاء**

سموا بذلك لأن أباهم كان يفتش عن أرباب الحوائج ليقضي حوائجهم وكذا كانوا هم يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها وقيل من التقرش وهو التجمع ومنه قوله:

اخوة قرشوا الذنوب علينا **في حديث من دهرهم وقديم**

سموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتصغير إذا كان من المزيد تصغير ترخيم وإذا كان من ثلاثي مجرد فهو على أصله وأياً ما كان فهو للتعظيم مثله في قوله:

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهيّة تصفر منها الأنامل

والنسبة إليه قرشي وقريشي كما في «القاموس» وأجمعوا على صرفه هنا راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظاً فيه معنى القبيلة للعلمية والتأنيث وعليه قوله:

وكفى قريش المعضلات وسادها

وعن سيبويه أنه قال في نحو معد وقريش وثقيف هذه الأحياء أكثر وإن جعلت أسماء للقبائل فجائز حسن واللام في لإيلاف للتعليل والجار والمجرور متعلق عند الخليل بقوله { فليعبدوا } والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى غير محصورة فإن لم يعبدوا لسائر نعمه سبحانه فليعبدوا لهذه النعمة الجليلة ولما لم تكن في جواب شرط محقق كانت في الحقيقة زائدة فلا يمتنع تقديم معمول ما بعدها عليها وقوله تعالى:

{ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } (2)

{ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } بدل من

{ إِيْلَافِ قَرِيْشٍ }

[قريش: 1] ورحلة مفعول به لإيلافهم على تقدير أن يكون من الألفة أما إذا كان من المؤلفة بمعنى المعاهدة فهو منصوب على نزع الخافض أي معاهدتهم على أو لأجل رحلة الخ وإطلاق لإيلاف ثم أبدل المقيد منه للتفخيم وروي عن الأخفش أن الجار متعلق بمضمر أي فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش وقال

الكسائي والفراء كذلك إلا أنهما قدرا الفعل بدلالة السياق اعجبوا كأنه قيل أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ورتكهم عبادة الله تعالى الذي أعزهم ورزقهم وآمنهم فلذا أمروا بعبادة ربهم المنعم عليهم بالرزق والأمن عقبه وقرن بالفاء التفرعية وعن الأخفش أيضاً أنه متعلق ب

{جعلهم كعصف}

[الفيل:5] في السورة قبله والقرآن كله كالسورة الواحدة فلا يضر الفصل بالبسملة خلافاً لجمع والمعنى أهلك سبحانه من قصدهم من الحبشة ولم يسلطهم عليهم ليقوا على ما كانوا عليه من إيلافهم رحلة الشتاء والصيف أو أهلك عز وجل من قصدهم ليعتبر الناس ولا يجترى عليهم أحد فيتم لهم الأمن في رحلتهم ولا ينافي هذا كون إهلاكهم لكفرهم باستهانة البيت لجواز تعليقه بأمرين فإن كلا منهما ليس علة حقيقية ليمتنع التعدد وقال غير واحد أن اللام للعاقبة وكان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى بصرى من أرض الشام كما روي عن ابن عباس وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وعن ابن عباس أيضاً أنهم كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل يرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم وأفردت الرحلة مع أن المراد رحلتنا الشتاء والصيف لا من اللبس وظهور المعنى ونظيره قوله:

حمامة بطن لواديين ترمي

كلوا في بعض بطونكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

حيث لم يقل بطونكم بالجمع لذلك وقول سيويه: إن ذلك لا يجوز إلا في الضرورة فيه نظر وقال النقاش كانت لهم أربع رحل وتعقبه ابن عطية بأنه قول مردود وفي «البحر» لا ينبغي أن يرد فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف هاشم

كان يؤالف ملك الشام أخذ منه خيلاً فأمن به في تجارته إلى الشام وعبد شمس يؤالف إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس فكان هؤلاء يسمون المتجرين فيختلف بحر قريش بخيل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم قال الأزهري الإيلاف شبه الإجلة بالخفارة فإن كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باعتبار هذه الأماكن التي كانت التجارة في خفلة هؤلاء الأربعة فيها فيكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد وللأكثر وفي هؤلاء الإخوة يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف الآخذون العهد من آفاقها
والراحلون لرحلة الإيلاف والرائشون وليس يوجد رائش
والقائلون هلم للأضياف والخالطون غنيهم بفقيرهم
حتى يصير فقيرهم كالكافي

انتهى وفيه مخالفة لما نقلناه سابقاً عن الهروي ثم إن إرادة ما ذكر من الرحل الأربع غير ظاهرة كما لا يخفى وقرأ ابن عامر لآلاف قريش بلا ياء ووجه ذلك ما مر ولم تختلف السبعة في قراءة إيلافهم بالياء كما اختلفت في قراءة الأول ومع هذا رسم الأول في المصاحف العثمانية بالياء ورسم الثاني بغير ياء كما قاله السمين وجعل ذلك أحد الأدلة على أن القراء يتقيدون بالرواية سماعاً دون رسم المصحف وذكر في وجه ذلك أنهار سمت في الأول على الأصل وتركت في الثاني اكتفاءً بالأول وهو كما ترى فتدبر وروي عن أبي بكر عن عاصم أنه قرأ بهمزتين فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وإن كان الأصل وكأنهم إنما أبدلوا الهمة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين وروى محمد بن داود النصار عن عاصم إيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدها ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمة الثانية لما أشبعت والصحيح رجوعه عن القراءة بهمزتين وأنه قرأ كالجماعة وقرأ

أبو جعفر فيما حكى الزمخشري لألف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية الفهم وحكيت
عن عكرمة وابن كثير وأنشدوا:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

وعن أبي جعفر أيضاً وابن عامر إلافهم على وزن فعال وعن أبي جعفر أيضاً ليلاف
بياء ساكنة بعد اللام ووجه بأنه لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفاً على غير قياس
وعن عكرمة ليألف قريش على صيغة المضارع المنصوب بأن مضمرة بعد اللام ورفع
قريش على الفاعلية وعنه أيضاً لتألف على الأمر وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام
الأمر والظاهر أن إيلافهم على جميع ذلك منصوب على المصدرية ولم أر من تعرض له
وقرأ أبو السمال رحلة بضم الراء وهي حينئذٍ بمعنى الجهة التي يرحل إليها وأما مكسور
الراء فهو مصدر على ما صرح به في البحر.

{ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } (3)

{ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } هو الكعبة التي حميت من أصحاب الفيل وعن عمر أنه
صلى بالناس بمكة عند الكعبة فلما قرأ فليعبدوا رب هذا البيت جعل يومي بإصبعه
إليها وهو في الصلاة بين يدي الله تعالى:

{ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } (4)

{ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ } بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنا منهما بواسطة كونهم من
جيرانه { مِّنْ جُوعٍ } شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذي أكلوا فيه

الجيف والعظام { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مَنْ } عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب
الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسائرهم أو خوف الجذام كما أخرج ذلك ابن
جرير وغيره عن ابن عباس فلا يصيبهم في بلدهم فضلاً منه تعالى كالطاعون وعنه
أيضاً أنه قال اطعمهم من جوع بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال

{ وارزقهم من الثمرات }

[إبراهيم:37] وآمنهم من خوف حيث قال إبراهيم عليه السلام

{ رب اجعل هذا البلد آمناً }

[إبراهيم:35]. ومن قيل تعليلية أي أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم ويقدر
المضاد لتظهر صحة التعليل أو يقال الجوع علة باعثة ولا تقدير وقيل بدلية مثلها في
قوله تعالى:

{ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة }

[التوبة:38] وحكى الكرمانى في غرائب التفسير أنه قيل في قوله تعالى: { الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مَنْ } أن الخلافة لا تكون إلا فيهم وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى
وقرأ المسيبي عن نافع من خوف بإخفاء النون في الخاء وحكى ذلك عن سيبويه وكذا
إخفاؤها مع العين نحو من على مثلاً والله تعالى أعلم.